خواطر تاريخية

عدنان محمد

بغداد.. الحركة العمرانية

بادئ القول هو التساؤل؟، هل ان بغداد الغربية أي المدينة التي أنشئت في العام ١٤٥ هجري هي صوبا بغداد أي الكرخ والرصافة اليوم؟.. الجواب وبكل بساطة كلا فأن جانب بغداد الغربي هو الذي أنشيء على جانب النهر ومد النهر الى داخل المدينة بعد الفراغ من بنائها وفرعت منه الجداول للأغراض النفعية بالنسبة للسقي أما الجانب الشرقي من بغداد والذي هو جانب الرصافة فكان تأسيسه في العام ١٥٢هـ أي بعد سبع سنوات من بدء البناء للجانب الغربي.. وكان الأساس من تأسيس هذه المنطقة كي يكون مقر العسكر بعيدا عن مقر الخلافة وقد أمر الخليفة ابنه المهدي للإشراف على هذا الجانب واما إطلاق تسمية الرصافة على بغداد الشرقية فلإن هذه المنطقة كانت فيها طرق مرتفعة..

وقد أقيم جسر يربط بين الجانب الغربي من بغداد والجانب الشرقي منها ولما كان انشاء هذا الجسر بعد اتمام أو البدء بالبناء في هذا الجانب لذلك فإن تأريخ إنشاء هذا الجسر لا بد ان يكون في هذه الفترة أي بدءا من التاريخ ١٥٢هـ وهو تاريخ البدء بعمارة الرصافة وسمي هذا الجسر بالجسر الكبير او جسر الرصافة او جسر عيسى.. واخذ هذا الجانب بالإتساع حتى صار ينافس الجانب الغربي من المدينة وقد ذكر الدكتور مصطفى جواد ان هناك أربعة آلاف سكة ودرب في هذا الجانب ومثل الجانب الغربي فقد أقيم سور حول هذا الجزء وأقيمت له الأبواب مثل باب الزبيدية نسبة الى زبيدة زوجة هرون وباب الزعفرانية وباب الزوراء وباب الزهيرية نسبة الى زهير بن المسيب وأقيمت عدة محلات في هذا الجانب منها محلة الرملة والزيدية.. وما تلا ذلك من إعمار.. ومهما يكن فلا بد من القول ان إنشاء هذه المدينة كان على أسس عصرية من حيث الطرق والأنظمة التي سنت بالنسبة للرجالة والركاب وبالنسبة للمياه وشق الترع والجداول وانتشار الأسواق وفصل المناطق السكنية عن الحوانيت والأسواق وتقسيم المدينة رقميا والسيطرة على الدخول والخروج.. وتأمين البضائع والسلع ونقلها وما الى ذلك من أساليب أضفت على المدينة صفة التميز فلذلك راح يشد اليها الرحال ولا يخفي على القارئ وما وصلت بغداد من اتساع وحركة ثقافية سيأتي لاحقا عرض ذلك بإذن الله في حلقات اخرى من هذه السلسلة.

تذكر بعض كتب التاريخ ان طرق المواصلات النهرية كانت متطورة الى الحد الذي تلاءمت مع عدد الناس المتنقلين من هذا الصوب الى ذاك الصوب وبالعكس ويعتبر نهر دجلة أساس ذلك التنقل إذ ان أصحاب الزوارق والمشارع والتي كان يقدر عددها بالمئات.. وقد أطلق عليها المعبرانيات ولو عرف القارئ الكريم دخل هؤلاء من هذه المعبرانيات والذي يقدر بتسعين الف درهم في كل يوم عمل.. لأحسَ بمدى تلك الحركة التي كانت بالنسبة لحركة المواصلات النهرية.

ان نهر دجلة الذي يمر بمدينة بغداد كان هو الاساس في تصميم هذه المدينة لما ذكر من أهمية له في حياة البغداديين بحيث تذكر لنا بعض الكتب انه ما من بيت بغدادي يخلو من سقاية يجري فيها الماء.. والسبب الأكيد في ذلك يعود الى الحرارة المرتفعة التي يتميز بها طقس بغداد.. وينقل ايضا بأن هناك أكثر من خمسمائة من القوارب المزينة التي يستخدمها ظرفاء التجار وكبار الجند.. والتي سمي الواحد منها بالزيزب وهي مراكب مزينة ومسرجة أي فيها الأسرجة التي تنوّر سلك النهر ليلا.. ومدّت جداول من نهر كرخايا وهو الآتي من نهر الفرات بحيث شقت الجداول والترع للإستفادة منها ذكر ذلك في وصف ياقوت لأنهار بغداد وجداولها، ناهيك عما كان يهتم به البغداديون من اقامة الحدائق والبساتين حيث كانت تشكل أساسا في رحلاتهم ومجالسهم وأسمارهم.. فهناك موضع شهير يقال له الشفيعي يقع الى الجنوب الشرقي من بغداد حيث كان فيه بستان كبير عامر يقصده كبار الرواد والسلاطين ورجالات الحكم في العصر العباسي.

هل حلّت البصرة الفيحاء في أرض لها تاريخ عريق؟

أ. فؤاد يوسف قزانجي

موقع البصرة، المدينة الإسلامية العتيقة التي مصّرت في عام "١٤هـ/٦٣٦م" هو الزبير حاليا. وقد قامت على الضفة القريبة اليوم لما يدعى "كري سعدة" التي كانت في البداية موقع خيام الفاتحين المسلمين حيث ينفصل طريق الأبلّه عن طريق الأحواز عند "الخريبة". وتعني كلمة بصرة الأرض الغليظة التي بها حجارة صلبة وقد تعني ايضا الحجارة الصلبة البيضاء. وسميت ايضا بالبصرة الفيحاء وبثغر العراق.

ان ضريح الحسن البصري مع المقبرة الاولى المدعوة "الجبّان" تقعان قرب سوق المربد، بينما أمسى ضريح الامام أنس بن مالك اليوم قرب محلة العرنوس القديمة. وكانت محلّة "اهل العالية" تقع بين سوق المربد وجامع البصرة. وجاء العباسيون في عام ١٣٢هـ فنظموا الري بالمدينة متخذين حوض المربد واسطة لذلك، وحيث ان المربد كان سوقا للأبل ومحطة للقوافل، كان الشعراء كل عام يجتمعون هناك حتى لقب المكان بعكاظ الاسلام. كانت البصرة مصدرا رئيسا لفنون صناعة السفن الصغيرة والقوارب في العراق، وكانت هذه الصناعة قد ورثتها عن مدينة فرات– ميسان القريبة منها، وتطورت هذه الصناعة من خلال العلاقات التجارية مع الهند ومجيء العديد من الهنود الى البصرة. ولقد تم في البصرة زراعة أجود الأصناف من النخيل والتمور والعمل على تكاثرها ويبدو ان الأرض والمناخ كانا ملائمين تماما لنمو النخيل التي أصبحت كالغابات في العشار.

كان من بين أهل البصرة مسيحيون يسمون بالسريان او الكلدان، وكذلك يهود يسمون بالرهدانيين من ساكني محلتين خاصتين بهما في البصرة هما: محلة القرائين ومحلة التلموديين، وكانت محلة القرائين موطن الحبر اليهودي في البصرة "يفث بن علي البصري" ت عام ٩٢٠م. وقد أشار بنيامين التطيلي عن وجود "١٠" آلاف يهودي في البصرة في القرن الثاني عشر الميلادي يقابلهم "٦٠٠٠" يهودي في الكوفة.

وقد أدى موت البصرة البطيء في القرن العاشر الى القرن الثالث عشر الى ان اصبحت قرية صغيرة تعرف بالزبير، وقد نشأت بصرة ثانية في شمال العشار في موضع الأبلّه القديمة بالقرب من الشاطئ الأيمن لشط العرب. وكانت هذه البصرة الجديدة واقعة تحت التأثير الزُهدي المتمثل بالرفاعية، كما ان هناك صفوة صغيرة مختلفة تحيط بها أكثرية شيعية غروية.

ولنعد الى البصرة الاولى، فبحسب ما جاء في معجم البلدان، فإن المسلمين حلوا بالبصرة بقيادة عتبة بن غزوان ثم توجهوا الى الأبلّة وهي اليوم العشار واستولوا عليها بسهولة، وبعد الأبلّة مروا بمدينة تدعى "الفرات" والحقيقة هي "فرات– ميشان". ويؤكد وجود مدينة الفرات الاشارة اليها مرة اخرى: "فلما قاتل عتبة أهل مدينة الفرات، جعلت امرأته تحرض المسلمين على القتال..". وقد وردت مدينة فرات ميشان باسم فرات البصرة بعد ذلك، وقال عنها الحموي انها كورة "بهمن اردشير". وكانت فرات ميشان مدينة ذات جذور آرامية وجدت قديما في منطقة ميشان باسم "برات– ميشان" نشأت على الأرجح في القرن الثالث قبل الميلاد على الفرات في زمن الاغريق، حيث كان دجلة والفرات يصبان منفصلين في مياه الخليج.

كان جيش الأسكندر المقدوني قد مرّ من ارض ميشان "الأهواز" وذلك أثناء عودته منتصرا من فتوحاته في ايران والهند. وكانت أرض ميشان تمتد من المحمرة ومصبي نهرا دجلة والفرات ورأس الخليج العربي حتى مدينة العمارة التي كانت تضم بقايا القبائل الآرامية والكلدية التي كانت تشكل مملكة أرض البحر حتى سقوط الأمبراطورية البابلية في القرن السادس قبل الميلاد. وقد أمر الاسكندر الكبير ببناء مدينة خراسين Charassen وسميت ايضا كراسين ثم كرخا. وقد سار الاسكندر محاذيا بالفرات الذي كان يجري لوحده آنذاك وكذلك دجلة ويصبان متجاورين في الخليج، وانشأ على الفرات ميناءا دعاه ابولوكوس Appologos الذي أصبح بلدة ابلا ثم سميت في القرن الرابع للميلاد باسم فارسي وهو "دست ميشان" ثم تبدل اسمها في القرن السابع الى الابله. وكانت مملكة ميشان الآرامية قد قامت بمساعدة الملوك السلوقيين، وظلت مملكة ميشان تحت النفوذ السلوقي ثم الفارسي حتى عام ٢٢٦ للميلاد حينما اجتاحها جيش الملك الساساني اردشير واجتاح معها مملكة حاطرا "الحضر".

وكانت مدينة فرات– ميسان في القرن الرابع للميلاد قد اصبحت مدينة سريانية، وان معظم سكانها الاراميين قد اهتدوا بالمسيحية وكانوا يشتهرون بصناعة القوارب كما كانت المدينة مركزا للتجارة بين بلدان الخليج العربي والعراق وايران.

ظلت مدينة فرات– مشان قائمة حتى القرن التاسع الميلادي وكان اسقفها آنذاك عالما مشهورا وهو ايشوعدناح الذي انتقل من مدينة فرات– ميشان الى البصرة التي غدت مدينة مهمة وتلقب ايشو عدناح بالبصري حبا بالمدينة، وكان ايشو عدناح قد ألف كتابا مهما في التاريخ السرياني وهو "الديورة في بلاد فارس والعراق" في عام ٨٦٠ م تقريبا وذلك قبيل وفاته، وقد سبق كتاب الديورة للشابشتي بأكثر من قرن من الزمن، وقد اضاف ايشو عياب معلومات مهمة عن المدارس في العراق ومنطقة ميسان والتي ناهزت على الخمسين مدرسة كانت تدرس فيها السريانية واللاهوت والمنطق والرياضيات ومن بينها اسكول مار ماري في دير قنى ومدرستي الحيرة والانبار التي درست على الارجح اللغة العربية في نهاية القرن السابع للميلاد. وهكذا نجد ان ارض البصرة كجزء من ارض العراق القديم بما فيها ميسان وكانت غنية بالثقافة الأصيلة المنبعثة في ارتباطها بالحضارات والأقوام التي قدمت الكثير من النشاطات الانسانية المعطاءة كالاراميين والكلدانيين والعرب وغيرهم.

المصادر:

1. ماسنيون/ لويس. خطط البصرة وبغداد، ترجمها واضاف اليها الأستاذ الدكتورابراهيم السامرائي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨١.

2– الأحمد، سامي سعيد. تاريخ الخليج العربي من اقدم الأزمنة الى التحرير. البصرة: مركز دراسات "الخليج العربي"، ١٩٨٥.

المكتبة والإنترنت.. نظرة مستقبلية

حسين شهيد المالكي

المكتبة هي مرآة الأمة، وهي تاريخها وثقافتها فوجودها والاهتمام بها يعني وجود أمة متحضرة متقدمة للمضي قدما نحو المستقبل.

وتواجه المكتبة في بداية هذا القرن تحديات جسيمة مصحوبة بتغيرات هائلة نظرا للتطور التقني.. فالتقنيات الحديثة قد اضطرت المكتبة الى تغير خططها وبرامجها من أجل ان تلائم متطلبات العصر التقني الجديد.. ولعل أخطر هذه التحديات التي واجهت المكتبة هي شبكات المعلومات، وأهمها على الإطلاق الشبكة العنكبوتية العالمية، أو ما يطلق عليها اصطلاحا "الانترنت"، فهي شبكة الشبكات ولها حضور قوي وفعال في كل أرجاء العالم.. لانها أصبحت ظاهرة بدأت تمد جذورها في نحو "١٧٥" دولة وتجذب اليها نحو "١٠٠" مليون شخص والعدد في تزايد يوميا.. وبحلول بداية القرن الحالي ستكون كل دول العالم مرتبطة بها. وقد اصبحت هذه الشبكة العالمية واقعا حيا لا يمكن انكاره او التشكيك في أهميته، رغم وجود بعض السلبيات. والمكتبات مطلوب منها تحديث أدواتها وبرامجها وخططها للتأقلم مع الواقع الجديد والإستفادة من هذا الواقع في خدمة الباحثين والقراء بأرقى الوسائل وأفضلها.

ان شبكة الانترنت اصبحت تمثل اليوم مكتبة العالم الرقمية أو المكتبة الكونية المفتوحة تحتوي على كل أوعية المعلومات، ويتم مضاعفة هذه الأوعية وتحديثها بصورة مستمرة وبما يفوق الوصف.. بل ان المعلومات فيها تزداد الى درجة الاغراق، فالانترنت أصبح واقعا ملموسا وعلينا ان ندرس هذا الحدث التقني الهام تأهيلا وتدريبا واستيعابا وتطبيقا في كل المجالات التي تخدم المكتبة وتنميها.

ان الانترنت او الشبكة العنكبوتية "World Wide Web" هي النافذة الحيوية لعصر المعلومات فهي مستودع هائل من المعلومات المنوعة، وهي تحتوي على اكثر من "١٢٠٠٠٠" شبكة أكاديمية وتجارية وحكومية وعسكرية متصلة عالميا. ويكون الاتصال بالانترنت متاحا من خلال معظم الجامعات والوكالات الحكومية، كذلك من خدمات الاشتراك في الخط المفتوح.. وتوفر الانترنت اتصالا بعشرات الآلاف من قواعد البيانات التي تشمل الصحف اليومية والدوريات والمجلات والكتب، كما تسهل أصحاب نفس الاهتمامات والاختصاص من الاتصال فيما بينهم.

ومن هنا تنبع الأهمية القصوى لدخول الانترنت في مجال المكتبات، حيث يمكن للمكتبة العامة ان تنهل من التقنية المتاحة فيما يمكن ان نطلق عليه "المكتبة العالمية" ويشمل أوعية المعرفة في كل انحاء العالم، بحيث يمد الباحث والقارئ في أي مكان ما يحتاج اليه في أيسر وقت.

وتتسم هذه الشبكة بأهمية فائقة من حيث سرعتها وحجمها.. إذ يمكن الدخول الى معلومات أي موضوع موجود في أي كومبيوتر موصل بالشبكة خلال ثوانٍ في أي مكان في العالم. وهذه الخدمة تتيح للمكتبة وضع فهارسها على شبكة الانترنت من خلال انشاء موقع خاص بها، ويتيح هذا الموقع للباحثين والقراء ولمراكز المعلومات في اي مكان من العالم الإطلاع على هذا الفهرس وبالتالي يؤدي الى تكامل المعلومات والخدمة المكتبية بين المكتبات ومراكز المعلومات وفي نفس الوقت هي خدمة وفائدة الى جميع المستفيدين من الباحثين وطلاب المعرفة.

أرض الرافدين مرجع الإنسانية

الاستاذ جندي عثمان أوسو بيبان

يحدها من الشرق سلسلة جبال زاكروس ومن الشمال والشمال الغربي سلاسل جبال طوروس ومن الجنوب مياه الخليج وبادية الجزيرة. لقد احتضنت هذه التضاريس مياه النهرين التوأمين دجلة والفرات وجبلت مياه أنهاره الخالدة منذ آلاف السنين تربة هذا الوطن وجعلت من أراضيه أغنى السهول ومن أبنائه الأوائل في تقديم أفضل المنجزات الحضارية للبشرية.

انها أرض الرافدين المباركة، لقد صار أبناء هذا البلد أصحاب أولى الحضارات في التاريخ وعلى أرضه اخترعت أولى حروف الكتابه كما تأسست على أرضه اولى المدارس وانشئت اولى المكتبات وصنع أبناؤه الأصلاء اولى العجلات لكي تدار بها دورة الحياة وتسير على دربها الحضارات الانسانية نحو الرقي والازدهار. لقد تأسست في هذه الأرض المباركة اولى الديمقراطيات وشرعت اولى القوانين والأنظمة وغنى على أرضها الشعراء اولى أغاني الحب وعشق الطبيعة المقدسة وذلك في أعياد رأس السنة في الأول من شهر نيسان من كل سنة احتفاءا بقدوم الربيع ومجيء الخير والبركة. هكذا كانت البداية المباركة في تجديد العهد مع الطبيعة المقدسة في مراسيم الزواج المقدس. وهكذا كانت أرض الرافدين، انها الأرض التي باركها آلهتها العظام مردوخ ودموزي وعشتار وشماش وآشور وأنو وأنليل وانكي لتبقى هذه الأرض مقدسة مدى الدهر ويفتخر بها أبناؤها الشرفاء امام العالم أجمع. انه تراث وادي الرافدين العريق وازدان هذا الارث الحضاري بولادة اول الأنبياء الذين نشروا رسالاتهم السماوية الى البشرية وذلك من مدينة اور السومرية الى مدينة حران البابلية وعلى امتداد أقدس الانهار في الشرق الأوسط، كما تربى على أرض بابل العظيم واحد من أعظم أنبياء العهد القديم من الذين دأبوا على تأليف اولى الأسفار في الكتاب المقدس والذي ضمّ بين دفتيه الكثير من التراث العريق لحضارات وادي الرافدين القديمة. كما انتشرت على هذه الأرض المباركة اولى الدعوات في عبادة آلهة الخير هورامزدا وما يمثله من قرص الشمس حتى انه اعتبر اولى المحاولات في توحيد عبادة الخالق.

لقد كانت أرض الرافدين الملاذ الآمن لجميع الديانات القديمة في هذه المنطقة مثل الديانة الايزيدية والديانة الصابئية والمسيحية لما فيها من قيم ومبادئ جيدة في الأخلاق والارشاد والتسامح والعيش بأمان والإتكال على قدرة الخالق في إدارة هذا العالم.. انها مبادئ مأخوذة من التراث العريق لحضارات وادي الرافدين القديمة.

لقد ازدان هذا الارث الحضاري لوادي الرافدين بانتشار دعوات السلم والمحبة على الأرض وتمجيد الرب في السماء على يد تلاميذ السيد المسيح أمثال مار ادي ومار توما ومار ماري في مدن مثل أربانيلو وطيسفون وكرخ سلوق والرها وغيرها. ثم جاءت الرسالة الاسلامية وأصبحت أرض الرافدين الموطن الأساس في انتشار هذه الدعوات الى الشرق والغرب وأصبحت مدن الكوفة وبغداد وسامراء والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة مشاعل لحمل الرسالة الانسانية الى جميع ارجاء العالم. انه ديدن أبناء هذا الوطن المبارك ان يكون السبّاق في حمل مشاعل النور والازدهار والتقدم وان يكونوا دائما المرجع الأصيل للإنسانية.

زها حديد .. المعمارية العراقية الخلاقة

بهرا. متابعات

زها حديد، الحائزة، للذكر لا للحصر، على "وسام الامبراطورية البريطانية"، وجائزة بريتزكر المرموقة في مجال الهندسة، وهي اول سيدة تفوز بها منذ أسست قبل ٢٦ عاما. وحديد، بغض النظر عن التكريمات، من أشهر معماريي هذا العصر في مجال الهندسة الحديثة التي لا تتقيد بالأشكال والخطوط المعمارية التقليدية. يخصص متحف التصميم الهندسي طابقين من مبناه لاعمال حديد، أحدهما بجدران سوداء ومظلم تماما حيث لا تسلط الاضواء الا على نماذج مصغرة لمشاريعها، المنجزة منها وتلك التي بقيت مجسمات صغيرة، أو حبرا على ورق، بينما الطابق الثاني بجدران بيضاء تعكس الاضواء الساطعة.

المعرض بالصور

وقد علقت على جدار عند بداية المعرض لافتة بمقدمة للتعريف بها تقول ان "زها حديد من اكثر المواهب الخلاقة تميزا في عصرها". ولدت حديد في بغداد عام ١٩٥٠ وأنهت دراستها الثانوية فيها ثم دراستها الأولية في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٧١ ثم التحقت بالدراسة في بريطانيا وتدربت في الجمعية البريطانية للعمارة، وعملت في بريطانيا بعد تخرجها عام ١٩٧٧. يقول منظمو المعرض ان العاصمة البريطانية لندن كانت تعرف مخاضات عسيرة في زمن الاصلاحات الاقتصادية في السبعينيات، عندما قصدتها حديد، كما ان مهندسيها ومعمارييها كانوا فاقدي الثقة والطلب على خدماتهم على حد سواء. وكانت جمعية المعماريين التي درست بها بين ١٩٧٢ و١٩٧٧ مرتعا خصبا للتوجهات الهندسية الجديدة، كما منحتها الفرصة لدراسة احد اعظم التوجهات المعمارية في القرن العشرين، وهو فن التركيبية أو الانشائية "Constructivism" الروسي. كانت تلك المرحلة نقطة انطلاق مشروعها المتميز "القمة The Peak"، وهو مجمع سكني وناد يطل على مدينة هونج كونج. ورغم كونه لم ينجز لحد الآن، الا انه جلب انظار العالم، وما زال له أثر في اعمال حديد الى اليوم. وبالاضافة الى مشاريعها واعمالها المميزة، لعبت زها حديد منذ تخرجها دور استاذة زائرة في عدة جامعات في أوروبا وأميركا، منها هارفرد، وجامعات شيكاغو وهامبورج ونيويورك. يذكر ان مكتبها يعمل في عدة مجالات تتراوح بين مشاريع معمارية ضخمة في سنغافورة واسطنبول وقطع الأثاث المنزلي. كانت زها حديد قد اثارت الانتباه في الثمانينيات بمشاريعها التي لم تنجز على ارض الواقع، لكنها غيرت نظرة الناس الى الهندسة المعمارية وما يمكن ان تنتجه. لكنها ايضا ملتزمة بشق تطبيقي من فنها، فقد اتمت مؤخرا مركز فينو للعلوم في فولفزبيرغ بالمانيا، ومبنى المقر المركزي لشركة بي ام دبليو للسيارات بلايبتسيش شرقي المانيا، ومبنى مركز الفنون الحديثة في مدينة سنسناتي بولاية اوهايو الأمريكية ومركز الفنون الحديثة في العاصمة الإيطالية روما. وهي الآن تعمل في عدد من المشاريع المتفرقة في اماكن متفرقة من العالم كغوانزو الصينية وروما والدوحة وابو ظبي، اضافة الى احد مرافق الالعاب الاولمبية للندن ٢٠١٢.